صقلية وأثر علمائها على البلاد الإسلامية

مقال مراجعة

م.م. الاء جاسم محمد صافي

المديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة

الكلمات المفتاحية: (البلاد الأسلامية، صقلية، علمائها).

Sicily and the impact of its scholars on Islamic countries

Asst.Lect / Alaa Jassim Muhammad Safi

موقع صقلية الإسلامية الاستراتيجي المتوسط بين أفريقيا، والأندلس المدينتان المشعتان بالثقافة والعلم ، كان من أهم الأسباب التي دعت المسلمين الى فتحها منذ وقت مبكر ،بعد ان توالت عليها الهجمات في العصر الأموي ،والعباسي إلى أن تمكن الاغالبة من فتحها سنة ٢١٢هـ/٨٢٦م ، ودخل المسلمون إليها بدأ من العلماء والفقهاء يسعون لنشر العلم في البلاد الإسلامية ؛ لأنها كانت مهداً لحضارات قديمة تعاقبت عليها وامزج قديمها بحديثها.

حيث ذكر عن هذا الامتزاج :(صقلية بحكم موقعها الاستراتيجي كانت مستعدة لتكوين وسيلة لنقل علوم العصور القديمة والوسطى ، وكان من بين سكانها العناصر الإغريقية التي تتكلم اللغة العربية ، وبعض العلماء الذين يعرفون اللاتينية ،وحيث ترجم عدد من الكتب الإسلامية الى اللغة اللاتينية) (١) ، أي أنها أخذت من أفريقيا أناساً يعمرونها ؛لأنهم ذهبوا اليها بثقافاتهم ومذاهبهم ، وكانت اتصالاتها مع البلاد الإسلامية عن طريق السوق أيضاً ؛ لأنها كما هو متعارف عليه أنها وسيلة لملتقى الأدباء والمثقفين منذ العصور القديمة لتبادل الأفكار والثقافة بينهم ،كما ان فتح صقلية على يد علماء من القيروان أدى إلى امتزاج الثقافات بين البلدين وظهور التأثير السياسي والثقافي على صقلية ؛ وهذا بسبب قربها من افريقيا ولان أهلها هم الذين فتحوها وقيل: (إن ارتباط تاريخ الإسلام في صقلية بمدينة القيروان ،هو مثل ارتباط تاريخ قرطاجة بروما قبل الفتح الإسلامي)(٢)،وان هذا الامتزاج لا يعني أن صقلية تعاني من عدم استقرارها ثقافياً ، بل أصبحت تضاهي

المراكز الإسلامية وأصبح لها دور كبير في الترجمة ووصل هذا التأثير إلى وأروبا متمثلا بظهور الجامعات فيها .

كانت العلاقات بين صقلية وبلاد القيروان متمثلة بدخول القائد أسد بن فرات الذي اصطحب معه أثناء الرحلة إلى صقلية مجموعة من العلماء، والفقهاء، والشعراء ،وكان له مؤلفات أهمها كتاب الأسدية الذي وصل إلى صقلية وانتشر فيها ، وكذلك له مدونة عرفت سحنون، والمختلطة(٣)، كما انتشر في صقلية كتاب السليمانية لمؤلفه سليمان بن سالم الذي أثر في صقلية من خلال انتشار المذهب المالكي فيها، وحيث ذكر الشيرازي قائلاً: (أنتشر مذهب مالك في صقلية) (٤) ، كما كان للبرادعي تأثير كبير في صقلية من خلال كتاباته المنتشرة أيضاً في صقلية، وأهمها كتاب التهذيب ؛ونظراً لما يمتلكه من العلم فقد كان مقصد لعدد كبير من طلاب العلم والمعرفة في صقلية ، وساهم هؤلاء العلماء وغيرهم في انتشار الثقافة الإسلامية، وتأسيس مدرسة ثقافية مستقلة في صقلية ، حيث تلمذ من خلالها فقيه صقلية أحمد بن عبد الرحمن المعروف (ابن الحصائري) على يد أعلام القيروان ومنهم أبي محمد بن أبي زيد وغيره .

ساهم علماء صقلية الذين قصدوا الاندلس وبالعكس علماء الأندلس الذين قصدوا صقلية دور كبير في تبادل الثقافات وتعزيزها في البلاد الإسلامي ، والتقاء طلاب العلم من الأندلس بالعلماء الصقليين والدراسة منهم وتحميل مؤلفاتهم ،ومنهم أبا الوليد سعيد بن شعبان المتوفي(٢٩٥هـ)،كان ثقة في نقل الأحداث ،وكذلك أبو حفص عمر بن حسن بن عبد الرحمن ، والعباس بن عمرو بن هارون الصقلي المعروف (بالوراق) وغيرهم من العلماء الذين لا يسع المقال لذكرهم جميعاً، ونتيجة لهذا التبادل الثقافي بين البلدين ساعد على دخول مجموعة كبيرة من الكتب الثقافية الى صقلية ومنها كتاب (لحن العامة) لمؤلفه محمد بن الحسن الزبيدي ، والذي تضمن فيه الأخطاء الشائعة في الأندلس ،كما ساهم دخول أعداد من العلماء إلى صقلية في تعزيز الاتصال الثقافي بين البلدين، إضافة الى التقاء طلاب العلم من الأندلس بالعلماء الصقليين والتعلم منهم وتحميل مؤلفاتهم (٥) .

إن رحلات طلب العلم كانت سمة علماء المسلمين وطلاب العلم في أنحاء العالم الإسلامي ،وكانت هذه الرحلات العلمية ركيزة أساسية للوحدة الثقافية بين بلدان العالم الإسلامي، وكان علماء صقلية يتزودون بالعلم ولم يكونوا بمعزل عن الأمصار الإسلامية كالقاهرة ، وبغداد وغيرها ، ومن هذه

الرحلات العلمية رحلة أبي الطاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران (ت٤٥٥هـ)، حيث رحل إلى مصر وتلقى علم القراءات وكان من أشهر علماء صقلية ابن الفحام الصقلي (ت٥١٦هـ). الذي رحل إلى المشرق لطلب القراءة على الشيوخ (٦).

كانت علاقة صقلية الثقافية مع البلاد الإسلامية متمثلة بالقراءات ، فكان لمحمد بن فراسان الصقلي (ت٣٨٦هـ) رحلة إلى مصر ودرس علمائها النحو والقراءات ، ومن أعلام صقلية في النحو والقراءات إسماعيل بن خلف بن سعيد الصقلي ،وخلوف بن عبدالله البرقي وغيرهم ،وكان لعلماء صقلية دور في كبير في مصر من خلال ما قام به علماؤها الذين استقروا في مصر، ومنهم عبد الجليل ابن مخلوف الصقلي الذي درس في مصر الحديث والفقه مدة أربعين عاماً واستمر حتى وفاته (ت٤٥٩هـ)، أما العلاقات بين صقلية ومصر في مجال الشعر فقد هاجر إلى مصر عدد من الشعراء الصقليين ومنهم مقداد بن حسن الصقلي وأصبح شاعرا للخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)، وكان من مظاهر الاتصال الثقافي بين مصر، وصقلية اشتراك الفلكي أبو محمد عبد الكريم الصقلي، مع مجموعة من الفلكيين في إصلاح المرصد الفلكي بالقاهرة وذلك بطلب من المأمون البطائحي (٧)، وكانت هناك علاقات طبية ايضاً بين مصر، وصقلية متمثلة بدور عبدالله محمد بن حسن الذي كان طبيباً وشاعراً ، وأبو بكر الصقلي وغيرهم ، وكان لمصر نصيب كبير من ثقافة الصقليين الذين هاجروا إليها ، وربما سبب هذا الاتصال ؛ أن صقلية كانت في يوم خاضعة للفاطميين فقد حكمها الكلبيون باسم الفاطميين ،وكذلك سبب وجود مصر على طريق الحج مكن مرور عدد من العلماء عند الذهاب والعودة ، ومن خلال الزيارات المتبادلة حيث رحل الصقليون إلى مصر وعند الرجوع نشروا العلم في صقلية ، ومن هذه الرحلات رحلة جوهر الصقلي فاتح بلاد مصر، وابن القطاع الصقلي والشاعر البلنوني الصقلي الذين ساهموا في نشاط الحركة الأدبية والنحوية في مصر(٨) .

كما كانت هناك علاقات ثقافية بين صقلية وبلاد الشام من خلال زيارة علمائها لبلاد الشام ؛لأن المراسلات والاتصالات بين علماء صقلية وعلماء البلدان الإسلامية مهم في الحركة الثقافية في صقلية الإسلامية ، وأيضاً هناك اتصالات وعلاقات بين الصقليين وبلاد المغرب من خلال هجرة علماء صقلية إلى المغرب ونشر الثقافة فيها من خلال تأسيس المدرسة الصقلية في الفقه والحديث

(٩)، كما ساهموا علماء صقلية بتحفظ كلام الله (عز وجل) للصبيان كما هو الحال مع ابي بكر الصقلي الذي ذهب من صقلية إلى القيروان يعلم أبناءها القران ، وأبا محمد بن أبي الفرج المعروف بالمازري الذي درس الفقه على يد شيوخ صقلية مثل أبو يونس الصقلي الذي رحل إلى المغرب واستقر بقلعة بني حماد ، وجلس للتدريس حيث أخذ عنه الكثير من الأدب والثقافة الفكرية ، وأبو حفص عمر بن خلف بن مكي محدث تعلم في صقلية وبعد أن ساءت الأوضاع فيها هاجر إلى تونس واستقر فيها ، وكانت له مؤلفات منها (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان)، وأبو عبدالله محمد بن مظفر الصقلي ، ولد بصقلية ودرس الأدب واستقر في مكة وتوفي سنة (٥٦٥هـ) ، كانت له مؤلفات منها (سلوان المطاع في عدوان الأتباع) وغيرها من المؤلفات(١٠) .

وهكذا هيأ وجود الثقافة الإسلامية في صقلية وتشجيع حكامها النورمانديين للعلم ، نوعاً من الدعم نحو التقدم والازدهار الثقافي ونشره في البلاد الإسلامية ، متمثل بما كان في صقلية من ترجمة العديد من الكتب إلى اللغة اللاتينية التي ساهمت في نشر العادات والأخلاق العربية ألى البلاد الإسلامية المختلفة بعد أن قصدها الكثير من طلاب العلم والمعرفة ، وبعد أن عملت صقلية بتأسيس المساجد التي تحولت إلى مراكز إشعاع ثقافي ، وبحكم موقعها أصبحت مزارا لكثير من العلماء الذين حفلت بذكرهم كتب التراجم وغيرها ، كما أنها أصبحت جسراً لانتقال الثقافة والحضارة العربية إلى البلاد الإسلامية .

المصادر والمراجع

(١) الأنصاري ،شمس الدين محمد بن أبي طالب(ت٧٢٧هـ)، نخبة الدهر وعجائب البر والبحر، د. ط ، مطبعة الاكاديمية الإمبراطورية، ١٢٨١هـ، ص١٦٤.

(٢) ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)،البداية والنهاية ، تحقيق د. ط، دار المعارف، بيروت، ١٤١٠هـ، ج٢،ص٢١٠.

(٣) عياض،أبو الفضل موسى(ت١١٤٩)، تراجم أغلبية مستخرجة من مدراك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي،ط١، مطبعة الرستمية ، تونس، ١٩٦٨م، ص١٠٨.

(٤)الشيرازي ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي(ت٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء ،تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م،ص١١٦.

(٥) الأنصاري ، المصدر السابق ، ص٢٧٤.

(٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤٠٥هـ،ج١، ص٣١٠.

(٧)القفطي ،جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ)،انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي، مصر، ١٤٠٦هـ،ج١،

(٨) الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ)، العين ، تحقيق مهدي المخزومي، دار الهلال ، مصر، د. ت ، ص٢٨٣.

(٩)ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي(ت٦٣٣هـ)،المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار العلم، بيروت ، ١٣٧٤هـ، ص١٠١.

(١٠)ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق يوسف علي الطويل ،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٧٣.